المبحث الثالث

أسس الدَّرس الصَّوتي بين سيبويه وابن جنِّي

مرحلة التَّقعيد والتَّأصيل من أصعب المراحل التي يمر بها علم من العلوم؛ وذلك لأنَّها بداية والبداية دائمًا في حاجة إلىٰ تصوُّر دقيق وفعَّال؛ وذلك لأنَّه ليس لها من بناء سابق تبنىٰ عليه أو مستند تركن إليه، لذلك مهما تطورت مفردات هذا العلم وارتقت أبجدياته تجد فيه دائمًا ملامح هذا الأصل الأول الذي أشار إليه وأسَّس بنيانه، وسيبويه قد أصَّل لعلم الأصوات العربيَّة ومن خلاله استطعنا التَّعرف علىٰ حدوده وأبعاده وإن كان الخليل قد سبقه في مقدمة كتابه العين، ولكن أصبح علىٰ يديه لهذا العلم عالم آخر يختلف عن العلوم الأخرىٰ.

فكانت معه البداية التي أسهمت وأسَّست في بناء مفردات هذا العلم ووضعت له كيانًا وإن لم يكن في مُصَنَّف يحمل اسمه ولكنَّه قعَّد له بوضوح ونقل إلينا معالمه وسماته، وعمدة هذا العلم تجده عنده في كتابه (الكتاب)، ثم تبعه ابن جنِّي بعد ذلك في كتابه (سر صناعة الإعراب).

والدكتور/ محمود سالم خريسات[1] في هذا البحث يقدِّم بعض الأسس التي يقصد بها المسائل الأساسية للدَّرس الصَّوتي العربيِّ وما يتصل بها من خلال هذين العَلَمَين وهذين الكتابين، خاصَّة عند سيبويه من خلال باب (الإدغام) وعنوان: (هذا باب عدد حروف العربيَّة، ومخارجها، ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها، واختلافها)[2]، ثم ابن جنِّي من خلال (باب أسماء الحروف وأجناسها، ومخارجها، ومدارجها، وفروعها المستحسنة وفروعها المستقبحة وذكر

(1) وهو عند كتابة البحث أستاذ اللغة والنحو المساعد بجامعة الإسراء - الأردن - العدد الرابع والثلاثون- الصادر في ذي الحجة 1428هـ- ديسمبر2007م. وقد احتوىٰ هذا البحث علىٰ تسع وخمسين صفحة وذلك من ص339-398.

(2) الكتاب 4/ 431.

خلاف العلماء فيها مستقصىٰ مشروحًا)[1]، فيقوم بعقد مقارنة بينهما في هذين البابين من خلال أربعة محاور هي: المحتوىٰ والمصطلح والمفهوم والمفردات ليخرج بتلك النَّتيجة التي تؤكِّد تأثُّر ابن جنِّي بسيبويه سواء أكان هذا التَّأثُّر باللفظ أم بالمعنىٰ أم بهما معًا خاصَّة في المصطلحات والمفاهيم والمفردات، ومادة هذا البحث تثبت صحة هذه النَّتيجة أوهذا الحكم، وهذا ما أثبته في ملخص بحثه وأشار إليه في مفرداته ووضَّحه إيجازًا في النَّتائج التي عرضها في الخاتمة وإن كان بينهما خلاف فهو خلاف يسير، ونقول بأنَّ مفردات البحث تثبت أنَّ مواطن الاتِّفاق بينهما أكثر من تسعين بالمائة، وهذا أمر بدهي أن يكون الإجمال من سيبويه في طريقة العرض، والتَّوضيح والشَّرح والتَّمثيل والتَّفصيل من ابن جنِّي وذلك تطبيقًا لمسألة السَّابق واللاحق، وقد عرض المؤلِّف لكل نقطة علىٰ حدة بادئًا بكلِّ ما يتصل بها عند سيبويه وكذلك فعل مع ابن جنِّي، وفي النُّقطة الأخيرة عرض لمفاهيم المصطلحات المشتركة بينهما ولكنِّي منذ البداية ومع كل نقطة أقف مع وجه الشَّبه والخلاف إيجازًا كخلاصة لما قدَّمه المؤلِّف مع المناقشة والتحليل، وأعتقد أن ذكر ذلك كافيًا عن استعراض النَّتائج التي نصَّ عليها. وفيما يلي عرض لهذه المفاهيم حتىٰ نتبيَّن وجه الحقيقة:

أولا- المنهج والمضمون والغاية

قسَّم المؤلِّف عنوان سيبويه في هذا الباب إلىٰ ثلاثة أجزاء:

(أ) عدد الحروف.

(ب) مخارج الحروف.

(ج): صفات الحروف.

مؤثرًا استخدام عنوان (باب الحروف) وليس (باب الادغام) ليتَّسق مع عنوان البحث من جهة ومع ما جاء عند ابن جنِّي من جهة أخري، مبيِّنًا العلَّة من ذكر

(1) سر صناعة الإعراب 1/ 49.

سيبويه العنوان خاصًّا بالمجهور والمهموس من الصِّفات دون سواهما: وهي كون هاتين الصِّفتين ينضوي تحتهما كل الحروف العربية، إضافة إلىٰ أن للجهر والهمس أثرهما الواضح في كيفية نطق أصوات الكلمة عمومًا، وأما العنوان عند ابن جنِّي فقسَّمه إلىٰ أربعة أجزاء:

(أ) عدد حروف المعجم (الحروف الأصول).

(ب) ترتيب الحروف العربية.

(ج) مخارج الحروف العربية.

(د) مصطلحات صفات الحروف ومفاهيمها والمفردات المنضويَّة تحتها، ثم قام بتناول كل مفردة علىٰ حدة ولكن بشيء من الإيجاز يمكن أن أعرض لهذه الأفكار إجمالاً، وذلك من خلال ضَمِّ كل مفردة إلىٰ نظيرتها حتىٰ نتبيَّن وجه الشَّبه والخلاف بينهما، ولكن قبل هذه المقارنة أذكر ملاحظات المؤلِّف الثَّلاثة علىٰ العنوانين:

الملاحظة الأولىٰ: عنوان ابن جني أكثر تخصيصًا من عنوان سيبويه، وأكثر تفصيلاً لما يشتمل عليه هذا الباب من مسائل فرعيَّة تخصُّ أصوات العربيَّة الأصول والفروع وصفاتها. ثم يقترح أن يكون العنوان: (باب الحروف العربية) أو (الحروف العربية مخارجها وصفاتها).

الملاحظة الثانية: اختلاف العلماء في المخارج عند ابن جنِّي، وفي عهد سيبويه لم يحدث اختلاف،

الملاحظة الثالثة: ذكر ابن جنِّي المخارج والمدارج وهذا لم يذكر في عنوان سيبويه.

وتعليقًا علىٰ هذه الملاحظات أقول بأنَّنا قد تعلَّمنا في مفردات كتابة البحوث العلميَّة أن طول العنوان ليس مستحبًا سواء في عنوان المُصَنَّفات أم في عنوان الأبواب والفصول فيستحسن فيه الإجمال، ثم يأتي بعد ذلك الشَّرح والتَّفصيل ولو أسميناه عندهما باب الحروف العربية كما ذكر المؤلِّف لكان أفضل، وإن كان

عنوان ابن جني أكثر تخصيصًا وأكثر تفصيلاً من سيبويه، وأما عدم اختلاف المخارج في عهد سيبويه فبداية التَّصنيف تحكم ذلك واختلافهم في عهد ابن جني فنظرًا لشهرته وانتشار أمره بعد ذلك، وكذلك في ذكر المخارج والمدارج.

(أ) تحت عنوان (عدد الحروف) ذكر المؤلِّف أنَّ الحروف العربية عند سيبويه اثنان وأربعون حرفًا، تسعة وعشرون هي الحروف الأصول تبدأ بالهمزة وتنتهي بالواو إضافة إلىٰ ستَّة حروف مستحسنة وسبعة غير مستحسنة وإن كانت في الحقيقة ثمانية، وهما من باب الفروع، ويأتي عدم استحسانها لأنَّها لا تستحسن في قراءة القرآن ولا تقبل ممن ترتضىٰ عربيته، وتعليم هذه الحروف يأتي عن طريق المشافهة والسَّماع، ويذكر المؤلِّف أنَّ ذلك يعني إدراك سيبويه للصُّورة الأساسية والصُّورة أو الصُّور الفرعيَّة للحرف، وفي المسألة ذاتها وتحت عنوان: (عدد حروف المعجم (الحروف الأصول) تجد ابن جنِّي وبشيء من التَّفصيل يعرض للخلاف الواقع بين العلماء في عدد هذه الحروف، فذكر أنَّ سيبويه عدَّها تسعة وعشرين حرفًا تبدأ بالهمزة والألف في حين عدَّها المبرد ثمانية وعشرين حرفًا، ورفض ابن جنِّي مذهب المبرد في هذه المسألة، والخليل قد سبق المبرد في هذا الرأي وأشار إلىٰ أن الهمزة والألف والواو والياء حروف جوفية هوائية، ويرىٰ المؤلِّف أنَّ المبرد لم يناقض نفسه عندما أسقط حرف الهمزة ثم تكلَّم عن مخرجها بعد ذلك، ويعلِّل لذلك بأنَّ هذا لا يعني بالضَّرورة إخراج الهمزة أو غير الهمزة من الحروف الأصول، ولكن ربَّما يفهم من ذلك أنَّه كان لا يفرِّق بين صورة الألف وصورة الهمزة، فأخرج الهمزة من الصُّور الكتابيَّة، ولم يخرجها من الحروف الأصول. والملاحظ كما أرىٰ أنَّ ابن جنِّي عندما يعرض لقضية ما لايكتفي برأيه فقط بل يحاول أن يناقش مَنْ اختلف معه في الرأي بالحجَّة والدَّليل، وعن إسقاط الهمزة فهذا صحيح؛ لأنَّ كتابة الهمزة بصورة الألف هي التي أدَّت إلىٰ هذا الاختلاف.

(ب) ترتيب الحروف العربية: اتَّفق ابن جنِّي مع سيبويه في ترتيب الحروف العربية بدءًا بالهمزة وانتهاء بالواو، ثم ذكر الحروف المستحسنة وغير المسحسنة

ووصفها بما وصفها به سيبويه. ولا أدري لما خصَّ المؤلِّف هذا العنوان بالذِّكر عند ابن جنِّي مع أنَّه كان من الممكن أن يدرج ضمن مابعده.

(ج) مخارج الحروف العربية: مخارج الحروف عند سيبويه ستة عشر مخرجًا تبدأ بأقصىٰ الحلق مخرج الهمزة وتنتهي بالشفتين مخرج الباء والميم والواو وبالخياشيم مخرج النَّون الخفيفة، وتبع ابن جنِّي سيبويه في أنَّ مخارج الحروف العربية ستة عشر، وعن الحروف غير المستحسنة أو المستقبحة فقد اعتذر عن وصفها وعن التَّمثيل عليها، فهو وإن خالف سيبويه في ذلك إلا أنَّه اتَّفق معه في أنَّها لا تعرف ولا تتبيَّن إلا بالمشافهة ولم ينص ابن جنِّي كعادته إلىٰ كون سيبويه قد ذكر هذه الملاحظة أو أشار إليها، ثم تحدَّث عن الحركات المشوبة بحركات أخرىٰ معتزًا بعلمه في ذلك، ثم تحدَّث عن بعض المسائل في الإدغام وفي السَّاكن والمتحرك، والتقاء السَّاكنين، والإخفاء باختلاس بعض الحركات.

ويلاحظ علىٰ مخارج الحروف عند سيبويه كما ذكر المؤلِّف أنَّها تكاد تكون متداخلة، فقد ذكر اللسان باعتباره مخرجًا أو مجموعة مخارج نحوعشر مرات، وهذا يشكل صعوبة كبيرة علىٰ الدَّارس للتَّمييز بين مخارج هذه الحروف. ولكن نقول بأن التَّمييز في هذه الحالة مع دقتها سمة من سمات الموهبة والتَّفوق، وعلامة من علامات الذَّكاء وسعة الإدراك، وتحمل الصِّعاب أمارة من أمارات المحبَّة للقرآن الكريم ولغة الضَّاد.

(د) صفات الأصوات كما عنون المؤلِّف عند سيبويه أومصطلحات صفات الحروف ومفاهيمها والمفردات المنضويَّة تحتها كما عنون عند ابن جنِّي: قد تكون ضدِّية وقد تكون فرديَّة، وسيبويه قد عرض للأولىٰ من خلال صفتي الجهر والهمس والشِّدَّة والرَّخاوة والإطباق والانفتاح، والأخرىٰ من خلال الانحراف والتَّكرير والحروف اللينة والحرف الهاوي مع وضع الحروف الخاصَّة بكل جانب، والملاحظ علىٰ هذا أنَّه كما ذكر المولِّف ثم التَّعليق علىٰ ماذكر:

1- لم يفصل بين صفتي الإطباق والانفتاح كما فعل مع الصِّفات الأخرىٰ. وربَّما أراد سيبويه أن ينوِّع في طريقة العرض التي تتشابه مع كل صفة.

2- ذكر في تعريف المجهورة حرف والأولىٰ أن تقول فالمجهور حرف، وأما المهموس فحرف ولم يقل المهموسة كما قال المجهورة. فمنهج سيبويه لم يكن دقيقًا في هذه المسألة. ولذلك نقول بأنَّ وضوح المعنىٰ وإن ظهر مع ذلك فليس بديلاً عن مراعاة دقَّة التَّعبير في استخدام مصطلحات التَّذكير والتَّأنيث ومراعاة كتابة النَّظير بجوار النَّظير.

3- جعل الحروف الشَّديدة في ستَّة أقسام دون الإشارة إلىٰ ذلك ودون أن يجعلها علىٰ شكل نقاط توحي بأنَّها متتابعة، حيث تخلَّلها حديث عن الحروف التي بين الشِّدَّة والرَّخاوة. وهنا نقول بأنَّ سيبويه كان يكتب لعلماء وفقهاء عصره الذين يدركون نهاية الكلام عند قراءة أوله.

ثم ينتهي إلىٰ هذه النَّتيجة وهي أنَّ منهج سيبويه في عرض مسائل هذا الباب كان فيه بعض الاضطراب أو الخلل مع تقديرنا لفضل سبقه إلىٰ هذا الموضوع وغزارة عِلْمه فيه. ولكن لانستطيع أن نحكم بخلل المنهج كما ذكر المؤلِّف لأنَّنا عندما نقارن أونوازن فنحن نفعل ذلك قياسًا إلىٰ الكتابات في عصره وليس عصر مَنْ أصبحت فيه مناهج البحوث تكتب في مُصَنَّفَات خاصَّة.

وقد ذكر ابن جنِّي في هذه المسألة إحدىٰ وعشرين صفة من صفات الحروف العربيَّة سواء ما يتصل منها بالصِّفات الضِّدِّية أو غيرها، فبدأ بالجهر والهمس إلىٰ أن انتهىٰ بالحرف المهتوت، مبيِّنًا مفاهيمها والمفردات المقصودة بكل صفة منها، ثم خرج بهذه النَّتيجة وهىٰ أنَّ الحروف كلما تباعدت مخارجها حسنت في التَّأليف، وكلما تقاربت مخارجها قبح اجتماعها. وإضافة إلىٰ ذلك يقول ابن جنِّي عن تأليف المتجاورة: «فإما رُفِضَ البتة، وإما قَلَّ استعماله»[1].

(1) سر صناعة الإعراب 1/ 331.

وإذا كان سيبويه قد بيَّن الغاية والهدف من دراسة الأصوات لأجل الإدغام فإنَّ ابن جنِّي قد اعتبره غاية في حدِّ ذاته، وذلك للشروع في دراسة كلِّ ما يتصل بكل حرف من حروف العربيَّة من صفات عامَّة ومواطن زيادة أو حذف، أوإبدال أوغير ذلك مما عرضه في كتابه. ونقول بأنَّ هذا واضح في العنوان الذي وضعه كل عالم، ولكل وجهته التي يؤيِّدها البحث العلمي سواء هذه أو تلك.

وفي ختام هذه المسألة نوضِّح وجه الخلاف في المنهج والمضمون والغاية كما أشار إليه المؤلِّف ولكن في عدَّة نقاط مع التعليق:

1- لم يعرض ابن جنِّي مادته عرضًا سريعًا ولا موجزًا كما عند سيبويه ولكنَّه وقف وقفة متأنِّية فتراه يعلِّل ويشرح ويحلِّل ويفسِّر ما يلزم كل مسألة. ونقول بأنَّ هذا هو الفرق بين عصر بداية العلوم والكتابة فيها وعصر وضع مُصَنَّفَاتها.

2- تميَّزت عبارة ابن جنِّي بالسُّهولة والوضوح خلافًا لعبارة سيبويه ومصطلحه. ومرَّة أخرىٰ نذكر بأنَّ كل عصر له أسلوبه وعباراته، وكلما تباعدت العربيَّة عن عصرها الأول كلما كانت في حاجة إلىٰ توضيح وتفصيل.

3- تميَّزت مادة ابن جنِّي بغزارتها العلميَّة النَّاتجة عن غزارة علمه ومحفوظة للشَّواهد والأمثلة التي كان يسوقها للتَّمثيل علىٰ كل ظاهرة فجاء موضوعه شاملاً ومستفيضًا لكل مسألة من المسائل التي عرضها، شأنه في ذلك شأن كل ما ورد في كتابه المطول (سر صناعة الإعراب) وبقيَّة كتبه. ونقول بأنَّ هذا شأن مَنْ يقوم بالشَّرح والتَّوضيح والتَّفصيل.

4- فسَّر ابن جني بعض القضايا اللغويَّة أوالصَّوتيَّة تفسيرًا سطحيًا غير مقنع، لا يقوم علىٰ دليل علمي، وذلك مثل تفسيره اختيارهم حرف اللام دون غيره من حروف العربيَّة مع الألف عندما أرادوا أن ينطقوا الألف في (لا: لام ألف)؛ ذلك لأنَّهم اختاروا همزة الوصل (الألف في عرف ابن جنِّي) للتَّوصل إلىٰ نطق لام التَّعريف، فأصبحت (أل التعريف)، ولكن اختيار اللام دون غيرها من الحروف مع

الألف في (لا) ربما يكون لكثرة دوران اللام علىٰ الألسن وخفَّة نطقها. وهذا صحيح فهي من حروف الذَّلاقة التي يسهل ويخفُّ النُّطق بها نظرًا لاعتمادها علىٰ ذلق اللسان وهو صدره وطرفه، ولذلك إذا وجدت كلمة رباعيَّة أو خماسيَّة مُعَرَّاة من هذه الحروف وهي إضافة إلىٰ اللام: الرَّاء والنُّون والفاء والباء والميم فاقض بأنَّه دخيل في كلام العرب[1].

ثانيًا- المصطلحات الصَّوتيَّة المشتركة

عرض المؤلِّف لهذه المسالة في ثلاثة عشر عنوانًا وضَّح في كل عنوان وجه الاتِّفاق في المصطلح ووجه الاختلاف ولكن للإيجاز أذكرها في عنوانين:

العنوان الأول: وجه الاتِّفاق: اتَّفق ابن جنِّي مع سيبويه في أربعة مصطلحات وهي: الحروف غير المستحسنة والصَّوت المنحرف والحرف المكرر والحرف الهاوي.

العنوان الثاني: وجه الاختلاف: اختلف ابن جنِّي مع سيبويه في ثمان مصطلحات وهي: المخرج والموضع عند سيبويه والمدرج عند ابن جنِّي في حين ذكر الخليل المخرج والمدرج والموضع والحيِّز، حيث سبقهما إلىٰ استخدام هذه المصطلحات، وذكر ابن دريد المدرج والمجرىٰ. والحروف المستحسنة عند سيبويه تستحسن وعند ابن جنِّي حسنة، والحروف المجهورة عند سيبويه بصيغة اسم المفعول والجهر عند ابن جنِّي بصيغة المصدر، والمهموس بصيغة اسم المفعول عند سيبويه والهمس بصيغة المصدر عند ابن جنِّي، والحرف الشَّديد عند سيبويه والشِّدَّة بصيغة المصدر عند ابن جنِّي، والرِّخوة عند سيبويه والرَّخاوة عند ابن جنِّي بصيغة المصدر، والحروف اللينة عند سيبويه والاعتلال عند ابن جنِّي، والمطبقة والمنفتحة عند سيبويه والاطباق والانفتاح عند ابن جنِّي. ونقول بأنَّ اختلاف

(1) ينظر: سر صناعة الإعراب 1/ 70، 71.

المصطلحات وارد وصريح في مختلفت التَّخصُّصات، فلكل عالم مصطلحاته الخاصَّة التي ربَّما يتفق فيها مع غيره أو ينفرد بها فلا مشاحة في الاصطلاح مادامت الدَّلالة بيِّنة مع كل مصطلح.

ثالثًا- المفردات

ذكر المؤلِّف أنَّه يقصد بالمفردات هنا المفردات المنضويَّة تحت هذه المصطلحات التي ذكرها سيبويه وابن جنِّي في باب الحروف عند كل منهما، وقد ذكر ذلك في ثلاثة عشر عنوانًا نستطيع أن نجمل ذلك في عنوانين فقط وعدَّة نقاط:

العنوان الأول: وجه الاتِّفاق

باستقراء ما ذكره المؤلِّف في هذه المسألة يتضح أنَّ وجه الاتفاق بينهما ينحصر في النِّقاط الآتية:

(أ) عدد حروف العربيَّة عندهما تسعة وعشرون حرفًا أولها الألف وآخرها الياء، ولكن هذا صحيح في شقِّه الأول، وأما الشِّقُّ الآخر فعلىٰ خلاف ذلك فالهمزة عندهما أول الحروف والواو آخرها.

(ب) الحروف الفرعية وهي نوعان:

أولهما المستحسنة وعددها ستة أحرف عند كل منهما، والحروف غير المستحسنة وعدَّها سيبويه سبعة وهي ثمانية ولكنه عدَّ الجيمين التي كالكاف والتي كالشِّين حرف واحدًا، ونصَّ ابن جنِّي علىٰ أنَّها ثمانية.

(ج) عدد المخارج عندهما ستَّة عشر مخرجًا أبعدها مخرج الهمزة من أقصىٰ الحلق، وأدناها مخرج الفاء والباء من الشفتين والنُّون الخفيفة من الخياشيم.

(د) اتَّفق ابن جنِّي مع سيبويه في صفات الحروف المجهورة والمهموسة والشَّديدة والرِّخوة والحرف المنحرف والمكرر والهاوي والأحرف اللينة والمطبقة والمنفتحة.

العنوان الآخر: وجه الخلاف

يمكن حصر الخلاف في النِّقاط الآتية:

(أ) ترتيب الحروف عندهما متطابق إلا أنَّ ابن جنِّي أخَّر الضَّاد عن الشِّين والجيم والياء بينما تقدَّمت الضَّاد عن هذه الأحرف عند سيبويه.

(ب) ترتيب ابن جني في الحروف المستحسنة يختلف قليلاً عن ترتيب ابن جنِّي.

(ج) في ترتيب المخارج الهمزة والهاء والألف عند سيبويه وعند ابن جنِّي الهمزة والألف والهاء. وإضافة إلىٰ ذلك نقول بأنَّ ابن جني قد ذكر أنَّ هذا ترتيب سيبويه ولكنَّه علىٰ خلاف ذلك كما ذكر المؤلِّف.

(د) ذكر سيبويه حرف العين فقط للحروف التي بين الرِّخوة والشَّديدة في حين ذكرها ابن جنِّي ثمانية، وهي مجموعة في قولك: (لم يروعنا).

وفي النِّهاية ذكر المؤلِّف أنَّ هذه المصطلحات الرئيسة المشتركة بينهما ممَّا تضمَّنه باب الحروف عند كل واحد منهما مما يتصل بأساسيات الدَّرس الصَّوتي موضوع هذا البحث.

رابعًا- مفاهيم المصطلحات المشتركة

يقصد بالمفاهيم هنا مفاهيم المصطلحات المشتركة بين سيبويه وابن جنِّي التي عُرضت فيما سبق، وغاية عرضها ومناقشتها ملاحظة مدىٰ الاتِّفاق والاختلاف بينهما في مفهوم كل مصطلح منها، ومدىٰ تأثُّر ابن جنِّي وإفادته من مفاهيم سيبويه في هذا الموضوع، وتاليًا مفهوم كل مصطلح من هذه المصطلحات: يبدو وجه الشَّبه في غاية الوضوح عندما نناقش مفهوم المصطلحات الصَّوتيَّة بين سيبويه وابن جنِّي، حيث لا تجد خلافًا بينهما في مصطلحي الحروف المستحسنة وغير المستحسنة في أنَّ الأولىٰ كثيرة الدَّوران والاستعمال في كلام العرب يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار بخلاف الأخرىٰ، وكذلك في معرفة المخرج

والوقوف علىٰ حقيقته وإن لم ينصا علىٰ ذلك صراحة فهو النُّقطة من القناة الصَّوتيَّة التي يتشكَّل عندها الصَّوت اللغوي، وحصر جري النفس الذي هو مادة الصَّوت اللغوي هو ما يعنيه سيبويه في تعريف الجهر بأنَّه حرف أشبع الاعتماد في موضعه. يقصد بالحصر هنا تضييق مجرىٰ النفس لإغلاقه إغلاقا كليًّا أو جزئيًّا حسب الصَّوت المراد إنتاجه، بحيث يؤدِّي هذا التَّضييق إلىٰ زيادة الضَّغط علىٰ أعضاء النُّطق عند مخرج الصَّوت، فيرتفع الصَّوت وتزداد قوَّة إسماعه، ويزداد وضوحًا سمعيًّا وكذلك كان الحال عند ابن جنِّي، والحرف المهموس علىٰ خلاف ذلك عندهما، وحقيقة الأمر كما ذكر المؤلِّف أنَّ الفرق الأهم بين الجهر والهمس يتمثَّل في ذبذبة الأوتار الصَّوتيَّة مع الصَّوت المجهور، وثباتها وعدم ذبذبتها مع الصَّوت المهموس، وكذلك يأتي الاتِّفاق بينهما في انحباس الهواء مع الصَّوت الشَّديد وعدم انحباسه مع الصَّوت الرِّخو، ولكن يطرح المؤلِّف سؤالاً كيف يمتنع النَّفس ويخرج الصوت؟ وكيف يمتنع الصَّوت ويخرج النفس؟.

وأما عن الحرف المنحرف والمكرر فيبدو وجه الاختلاف بوصف سيبويه لهما بكونهما من الحروف الشَّديدة ولم ينص ابن جنِّي علىٰ ذلك، والحقيقة أنَّ الحرف المنحرف والمكرر ليسا من الحروف الشَّديدة، وإنَّما هما حالة وسط بين الشَّديد والرِّخو، وأما الحروف اللينة عند سيبويه فهي حروف المدِّ والاستطالة عند ابن جنِّي، وأما الحرف الهاوي عند سيبويه فهو كما عند ابن جنِّي وإن لم يصفه ابن جنِّي بذلك، وبيان مفهوم الإطباق والانفتاح والصَّوت المهتوت واحد عند سيبويه وابن جنِّي. والمؤلِّف قد استعان بكثير من الدَّراسات الحديثة توضيحًا وتحليلاً لهذه المسائل حيث وصلت عنده إلىٰ اثنين وعشرين مرجعًا، وهذا مما يعطي للبحث قيمته وأهميته، ولكن أن يستشهد بهذا العدد في حين يكتفي بثمانية عشر مصدرًا من الدِّراسات القديمة فهذا غير مألوف في دراسة عنوانها أسس الدَّرس الصوتي بين سيبويه وابن جنِّي.